العربية الذين سلموا اليها مدنهم سليمة حرة ، فراحت تعلن بتبجح انها استولت عليها بدون مقاومة !.. لان الجيوش المنقذة لم تحارب اليهود ولم تخرجهم من فلسطين بل اخرجت الفلسطينيين، ولم تدافع عما كان في حوزتها ، ولا هي تركت للاهالي المجاهدين سلاحهم ليدافعوا به عن انفسهم (٤٦).

ويقارن بين ما فعلته بريطانيا لليهود وفاء بوعودها اذ لم يخرجوا من فلسطين الا بعد ان اخمدوا العرب واقاموا الدولة اليهودية « .. اما وفاء العرب للعرب جعجعة وخطب وتهويلات وحفلات وقرارات ووعود خدرت اهل فلسطين واماتت روح الجهاد والمقاومة من نفوس العرب .. »

لقد كانت الدول العربية قبل الهدنة الاولى سائرة في الطريق الصحيح فاذا بالهدنة الاولى تقع بغتة ، ولا يعرف السبب الحقيقي لقبول الحكومات الهدنة المخزية « .. زعموا ان امريكا وانجلترا قد هددتا الدول العربية واوعزتا اليها بالكف عن قتال اليهود والا ... فان امريكا وانجلترا تضربان دول العالم العربي . لو كان صحيحا فان واجب الشرف كان يقضي على من قبلوا معرة الهدنة ان يستمروا في الزحف على اليهود الى النهاية وهذا اشرف ، فأما ان يقضوا على دولتهم قبل ان تقوم او تتدخل اميركا وانجلترا صراحة وبالقوة فحينئذ يجوز قبول الهدنة ، وانه لاشرف لاصحاب الهدنة ان تكسرهم امريكا وانجلترا من ان يفروا فزعا ورعبا امام عصابات يهودية لا وزن لها في ذلك الحين » .

من هو المسؤول عن ضياع فلسطين ؟ يوجسه اسئلته الى جامعة الدول العربية فيجدها مشغولة عنه بالحفلات والخطب وعقد الجلسات وفضها ونشر البيانات وطيها وايجاد المشاكل بين الدول العربية ذاتها ثم تسويتها على حساب فلسطين(٤٧). وبعد هزيمة العرب في ميدان الحرب والسياسة اراد بعضهم ان يستر سوء تصرفه فراح يتهم الفلسطينيين بالتقصير ويحملهم وزرا لا يدلهم فيه ، « فان هؤلاء قد نادوا وانذروا بالخطر قبل وقوعه وقاتلوا الانكليز واليهود مدة ثلاثين عاما .. ثم سفكوا دماءهم مرارا واستغاثوا تكرارا(٤٨). لقد كان الحل ، برأيه ، وعرب فلسطين يقتتلون بصورة مختلطة مع اليهود ولم يكن بامكان اليهود عمل جبهة حربية ذات نظام ان تمد الحكومات العربية اهل فلسطين بالعتاد والرجال وتخصص نجدات للجهات الضعيفة دون ان تتدخل رسميا ... لولا الجامعة التي دخلت في قضية فلسطين عن غير ايمان لبقينا الى الان نشهد المعارك الطاحنة تجري بين الفلسطينيين واليهود(٤٩).

ويعود الطاهر ليتساءل « .. ايقع الحق كله فيما اصاب فلسطين على العالم العربي وحده ؟ وهل كل اهل فلسطين كانوا ابرياء ؟.. والجواب كلا لان اهل فلسطين ايضا يحملون قسطهم من المسئولية ، فهم لم يبذلوا من اول الامر ما كان يجب عليهم بذله من جهود واموال وتعاطف وسهر ... فاهل فلسطين لم يستعملوا الصداقة مثلا مع خونة البلاد واعوان الانجليز واليهود .. وكان ذلك من الفلسطينيين تراخيا وجبنا واستهتارا ، ولم تجد فلسطين من جيلها الجديد الذي ولد ونشأ في ايام الاحتلال تأييدا جديا ، لان هذا الجيل الارعن المتفرنج قد تهالك بعضه على الوظائف عند الانجليز وأيد معظمهم الاحتلال الاجنبي ، وسخر من جهاد الجيل القديم الذي ورثته فلسطين عن ايام ما قبل الانتداب(٥٠).

المستقبل كان يبدو حالكا أمامه « اذ لا يجب ان ننسى ان نكبة فلسطين اذا كانت لا تجمع كلمة العرب للاحتفاظ بما في قبضتهم من اوطان مستقلة، واستهداف انقاذ فلسطين لغسل العار على الاقل فان دولة اليهود ستحكم دنيا العرب لا محالة »(٥١) ... لذا لما ترامى له ان بعض الدول العربية على وشك عقد الصلح مع اليهود بشر هذه الدول بأن « فرحها لن يطول لان اعتداءات اليهود على بلادها ومناوشة حدودها واقتحام قراها ونهبها لن ينقطع »(٥٢). لا ينقص اليهود الان شيء في فلسطين ، كما يقول سوى عمليات التطهير والتشطيب والقضاء على بقية العرب .. واما العرب فلهم ان يبعثوا بعد وقوع النكبة المتبلسة ببرقيات الشكوى من فظائع اليهود الى وسيط هيئة الامم المتحدة في رودس ، وان لم يعجبهم ذلك فليشكوا امرهم الى هيئة الامم في امريكا ... »

لقد كان يتصور ان عقاب العالم العربي سيراه الجيل الحاضر بعد بضع سنين فقط يوم تملأ (دولة اسرائيل) البحر الاحمر والبحر الابيض باساطيلها ... وتغطي الارض بدباباتها ، وتحجب